

لسماحة الشيخ العلاَّمة :

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

-رحمه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

ثلاثةُ الأُصُولِ[1].

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبْ عَلَينَا تعلُّمَ أربعِ مسائلَ[2]:

(الأولى) : العِلمُ [3] ، وهو معرفةُ اللهِ ،...

---

[1] هذه رسالة مهمة في العقيدة ألفها الشيخ أبو عبد الله الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي الإمام المشهور المجدد لِما اندرس من معالم الإسلام في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ــ رحمه الله وأكرم مثواه ــ .

وقد كان ــ رحمه الله ــ يلقن الطلبة والعامة هذه الأصول ليدرسوها ويحفظوها ، ولتستقر في قلوبهم لكونها قاعدة في العقيدة .

وكانت وفاته سنة ست ومائتين وألف من الهجرة . وكان مولده سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة ، فقد عمَّر إحدى وتسعين سنة . وقد كان عمرا مليئا بالخير والدعوة إلى الله والتعليم والإرشاد والصبر على ذلك . وقد أنقذ الله به العباد والبلاد في زمانه في هذه الجزيرة ، وانتشرت دعوتُه في غير الجزيرة من الشام ومصر والعراق والهند وغيرها ، بسبب الدعاة الذين حملوا عنه العلم وانتقلوا إلى تلك البلدان والدول ، وبسبب المكاتيب والكتب التي انتشرت منه ــ رحمه الله ــ ومن أتباعه وأنصاره والدعاة التابعين له في الدعوة إلى الله .

[2] هذه المسائل يجب أن يتعلمها المؤمن والمؤمنة صغارا وكباراً.

[3] فعلى الإنسان أن يتعلم ويتبصر حتى يكون على بينة ، ويعرف دين الله الذي خلق من أجله . وهذا العلم هو معرفة الله ، ومعرفة نبيه ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة ؛ فهذا أول شيء : أن يتبصر العبد ؛ من هو ربه ؟ فيعرف أن ربه الخالق الذي خلقه ، ورزقه ، وأسدى إليه النعم ، وخلق من قبله ، ويخلق من بعده ، هو رب العالمين ، وأنه الإله الحق المعبود الذي لا يستحق العبادة سواه أبدا . لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا جن ، ولا إنس ، ولا صنم ، ولا غير ذلك.

بل العبادة حق لله وحده ، فهو المعبود بحق ، وهو المستحق بأن يعبد ، وهو رب العالمين ، وهو ربك وخالقك وإلهك الحق سبحانه وتعالى .

ومعرفة نبيه[1]، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

(الثانية): العمل به[2].

(الثالثة) : الدعوة إليه[3].

فتعرف هذه المسألة الأولى : وهي أن تعرف ربَّك ونبيَّك ودينَك بالأدلة ــ قال الله وقال الرسول ــ لا بالرأي ولا بقول فلان ، بل بالأدلة من الآيات والأحاديث ، وذلك هو دين الإسلام الذي أنت =

مأمور بالدخول فيه ، والالتزام به . وهو عبادة الله الذي قال فيها سبحانه وتعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } . هذه العبادة هي الإسلام ، وهي طاعة الله ورسوله ، والقيام بأمر الله وترك محارمه . هذه هي العبادة التي خلق الناس لأجلها وأمر الله بها الناس في قوله : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ } يعني اعبدوه بطاعة أوامره واجتناب نواهيه ، وإسلام الوجه له وتخصيصه بالعبادة سبحانه وتعالى .

(١) ومن ذلك أن تعرف نبيك وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي المكي ثم المدني ــ عليه الصلاة والسلام ــ فتعرف أنه نبيك وأن الله أرسله إليك بدين الحق يعلمك ويرشدك فتؤمن بأنه رسول الله حقا وأن الله أرسله للعالمين جميعا من الجن والإنس ، وأن الواجب إتباعه ، والسير على منهاجه . وسيأتي تفصيل هذا في الأصل الثالث من الأصول الثلاثة .

(٢) أي أن تعمل بهذا الدين من صلاة وصوم وجهاد وحج وإيمان وتقوى فتعمل بالإسلام ؛ لأنك مخلوق له ، ومخلوق لعبادة الله ؛ فعليك أ ن تعلم وتعمل به فتعبد الله وحده ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، وتؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتبر والديك ، وتصل الأرحام ، إلى غير ذلك فتعمل بما أمرك الله به ، وتنتهي عما نهاك الله عنه ، وتترك المعاصي التي أنت منهي عنها ، وتفعل الواجبات التي أنت مأمور بها .

(٣) أي أن تدعو إلى هذا الدين فتنصح الناس بأن يستقيموا عليه ، وترشدهم وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر . هذه هي الدعوة إلى دين الإسلام . فعلى كل مسلم أن يدعو إلى الله حسب طاقته وعلمه . فكل واحد ــ رجل أو امرأة ــ عليه قسط من هذا الواجب من التبليغ والدعوة

(الرابعة): الصبر على الأذى فيه[1].

والدليل[2] قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: { وَالْعَصْرِ ـ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِيْ خُسْرٍ ـ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } .

والإرشاد والنصيحة . وأن يدعو إلى توحيد الله ، وإلى الصلاة والمحافظة عليها ، وإلى الزكاة وأدائها ، وإلى صوم رمضان ، وحج البيت مع الاستطاعة ، وإلى بر الوالدين ، وصلة الأرحام ، وترك المعاصي كلها.

[1] أي يصبر على الأذى في هذه الأشياء ، فقد يحصل للإنسان أذى ، قد يتعب من المدعو أو غيره ، من أهله أو غيرهم ، فالواجب الصبر واحتساب الأجر عند الله . فالمؤمن يصبر على إيمانه بالله ، ويصبر على العمل بما أوجب الله عليه ، وترك ما حرم الله عليه ، ويصبر في الدعوة إلى الله ، والتعليم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فلا بد من الصبر في هذه الأمور كلها . فالدين كله يحتاج إلى صبر . صبر على دعوة الله وحده ، وصبر على أن تصلي ، وتزكي ، وتصوم ، وتحد ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وصبر عن المحارم والسيئات، فتحذر من قربها . فالإنسان إذا لم يصبر ؛ وقع فيما حرم الله عليه ، أو ترك ما أوجب الله عليه . ولهذا قال تعالى لرسوله : { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ } . وقال سبحانه : { وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } ، وقال تعالى: { وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ } . وقال تعالى : { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } . وقال تعالى : { وَاصْبِرْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } . يعني اصبروا على طاعة الله ، وترك معصيته . واحذروا مخالفة أمره وارتكاب نهيه .

[2] وهذا هو الدليل على هذه المسائل الأربع : ففي هذه السورة العظيمة الحجة لهذه الأمور ، وهذا هو الدين كله . فالدين كله إيمان وعمل ودعوة وصبر . إيمان بالحق وعمل به ودعوة إليه وصبر على الأذى فيه ، والناس كلهم في خسارة { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ } الآية : أي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ، فهؤلاء هم الرابحون ، وهم السعداء . وقد أقسم الله على هذا بقوله : { وَالْعَصْرِ } وهو الصادق سبحانه وتعالى وإن لم يقسم ، ولكن أقسم لتأكيد المقام . والله سبحانه وتعالى يقسم بما شاء من خلقه ، فلا أحد يتحجر عليه ، فأقسم بالسماء ذات البروج ، وأقسم بالسماء والطارق ، وبالضحى وبالشمس وضحاها ، وبالليل إذا يغشى ، وبالنازعات ، وغير ذلك ؛ لأن المخلوقات تدل على عظمته ، وعلى أنه سبحانه هو المستحق للعبادة ولبيان عظم شأن هذه المخلوقات التي تدل على وحدانيته وأنه

قال الشافعي[1] ــ رحمه الله تعالى ــ: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم[2] .

وقال البخاري[3] ــ رحمه الله تعالى ــ: (باب العلم قبل القول والعمل ، والدليل : قوله تعالى : { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } ؛ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل .

المستحق للعبادة وحده . وأما المخلوق فليس له أن يقسم إلا بربه ، فلا يقسم ولا يحلق إلا بالله ، ولا يجوز له أن يحلف بالأنبياء ، ولا بالأصنام ، ولا بالصالحين ، ولا بالأمانة ، ولا بالكعبة ، ولا بغيرها . هذا هو الواجب على المسلم ؛ لقول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " من حلف بشيء دون الله فقد أشرك " أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح . وقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ : " من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت " .= =فالواجب على كل مسلم ومسلمة الحذر من الحلف بغير الله وأن تكون أيمانهم كلها بالله وحده سبحانه وتعالى .

[1] الشافعي : هو الإمام المشهور ، أحد العلماء الكبار ، وأحد الأئمة الأربعة ، وهو محمد بن إدريس الشافعي المطلبي ، المولود سنة خمسين ومائة ، وتوفي سنة أربع ومائتين .

[2] يقول ــ رحمه الله ــ : لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم ، وفي رواية : " لو فكر الناس في هذه السورة لكفتهم " ؛ أي لو نظروا فيها وتأملوا فيهـا لكانت كافية في إلزامهم بالحق ، وقيامهم بما أوجب الله عليهم ، وترك ما حرمه عليهم ؛ لأن الله بين أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر هم الرابحون ، ومن سواهم خاسر ، وهذه حجة قائمة على وجوب التواصي ، والتناصح ، والإيمان والصبر ، والصدق ، وأنه لا طريق للسعادة والربح إلا بهذه الصفات الأربع : إيمان صادق بالله ورسوله ، وعمل صالح ، وتواص بالحق ، وتواص بالصبر .

[3] البخاري : هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، من بخارى في المشرق الأوسط . ولد سنة أربع وتسعين ومائة ، في آخر القرن الثاني ، ومات سنة ست وخمسين ومائتين في وسط القرن الثالث . كان عمره اثنتين وستين سنة . وهو صاحب الصحيح ، وله مؤلفات أخرى عظيمة نافعة ــ رحمه الله ــ . يقول : باب : العلم قبل القول والعمل ؛ لقول الله سبحانه

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلمــ -رحمك الله- أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه المسائل[1] الــثلاث والعمل بهن :

(الأولى) : أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً [2] ..

: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ } ؛ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل . فالإنسان عليه أن يتعلم أولا ، ثم يعمل ؛ فيتعلم دينه ، ويعمل على بصيرة ، والله أعلم .

[1] هذه المسائل الثلاث من أهم المسائل التي تتعلق بالتوحيد وحقوقه .

[2] الله خلق الخلق ليعبدوه فلم يخلقهم هملاً ، ولا سداً ، ولا عبثاً ، لكنه خلقهم لأمــر عظــيم ، ولحكمة عظيمة فيها سعادتهم ، وفيها نجاتهم ، وهي أن يعبدوا الله وحده لا شريك له كمــا قــال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } . وهذه العبادة أمرهم الله بها في قوله سبحانه : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ } ، وفي قوله : { وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا } ، وفي قوله : { وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } ، في آيات كثيرة أمرهم فيهــا بالعبــادة ، وهــي توحيده جل وعلا ، وتخصيصه بالعبادة من دعاء وخوف ورجاء وتوكل ورغبة ورهبــة وصــلاة وصوم وغير ذلك . فهو المستحق للعبادة ــ جل وعلا ــ دون كل ما سواه . ويدخل في ذلــك فعل الأوامر ، وترك النواهي ؛ فأداء الأوامر التي أمرك الله بها ورسوله ، وترك النواهي التي نهاك الله عنها ورسوله ؛ كل هذا داخل في العبادة ، وهذا هو الإسلام ، وهو الدين ، وهو الإيمــان ، وهو الهدى . فلا تصل إلا لله ، ولا تركع إلا له ، ولا تذبح إلا له ، ولا تدع إلا إياه ، ولا تتوكل إلا عليه إلى غير ذلك من العبادات . أما الاستعانة بحاضر قادر فيما يقدر عليه ؛ فهذا ليس بعبادة ، كما قال سبحانه في قصة موسى : { فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَــدُوِّهِ } ؛ فــإن موسى قادر على أن يغيثه . أما دعاء الميت ، ودعاء الغائب الذي لا يسمع كلامــك ، أو دعــاء الصنم أو الجن أو الأشجار ، ونحوها ؛ فهذا شرك المشركين ، وهو الشرك الأكبر الذي قــال الله فيه : { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } ، وقال تعالى : { وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } ، وقال سبحانه : { إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } ، وقال سبحانه : { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ } ، فالله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا بل أمرنا بتوحيده وطاعته وترك معصيته .

بل أرسل إلينا رسولاً [1] ، فمن أطاعه دخل الجنة ، ومن عــصاه دخـــل النـــار[2] ، والدليل قوله تعالى : { إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَــوْنَ رَسُولًا ـــ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا } .

(الثانية): أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل[3] . والدليل قوله تعالى : { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ اللهِ أَحَدًا} .

---

[1] وأرسل إلينا رسولا : هو محمد ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ بكل ما تقدم ، وأنزل عليه القرآن بذلك ، لنستقيم على ما فيه من الهدى ، ونعمل بما فيه من الأوامر ، وننتهي عما فيه من النواهي ، وعلى يد محمد رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ خاتم النبيين والمرسلين . جاء ليعلم الناس دينهم ؛ فهو خاتم الأنبياء وإمامهم وأفضلهم .

[2] فمن أطاع هذا الرسول واستقام على دينه ؛ فله الجنة ، ومن عصى هذا الرسول وحاد عـــن دينه فله النار، كما قال تعالى : { إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ } : يعني : بأعمالكم ..= ={ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا } ، فهو مرسل ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ . { فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا } ؛ أي أخذنا فرعون أخذا وبيلا في الدنيا بالغرق ، وفي الآخرة بالنار .

[3] هذه المسألة الثانية إنما هي تحقيق للمسألة الأولى : أن تعلم أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته ، كما أنه الخالق الرازق المحيي المميت ، الذي خلقك وأعطاك النعم ، فهو ســبحانه لا يرضى أن يشرك معه أح من الخلق ، لا نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ، ولا غيرهما ؛ لأن العبـــادة حق الله وحده ، كما قال تعالى : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ } ، وكما قال تعالى : { إِيَّـــاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ؛ لأن الشرك به هو أعظم الذنوب ، وقد جاء في الآيات الكـــثيرة الأمـــر بإخلاص العبادة لله وحده ، والنهي عن عبادة ما سواه ن فتجمع بين أمرين : فتؤمن بأن الله هـــو الخالق الرازق المحيي المميت، وتؤمن بأنه سبحانه هو المستحق للعبادة من ذبح وصلاة وصوم وغير ذلك من العبادات ، كما قال سبحانه : { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَّاحِدٌ }، وقال سبحانه: { فَلَا تَدْعُوا مَـــعَ اللهِ أَحَدًا } .

(الثالثة) [(١)] : أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب ، والدليل قوله تعالى : { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[(٢)] .

---

(١) وهذه هي المسألة الثالثة وهي من أهم الواجبات أن يعلم كل مسلم ومسلمة أنه لا يجو له أن يوالي المشركين أو يحبهم . فكل من أطاع الله ورسوله ووحد الله جل وعلا يلزمه أن يعادي الكفار ويبغضهم في الله ، ولا يجوز له موالاتهم ومحبتهم لقوله تعالى : { لَا تَجِدُ قَوْمًا } : أي لا تجد يا محمد قوما أهل إيمان صادق يوادون من حاد الله ورسوله . وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } . وقال عز وجل : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُواْ بِاللهِ وَحْدَهُ } . فلا بد من البغضاء والعداوة لأعداء الله ، ومودة المؤمنين ومحبتهم .

(٢) هكذا المؤمن يحب أولياء الله ، ويتعاون معهم على الخير ، ويكره أعداء الله ويبغضهم ويعاديهم في الله ـ وإن دعاهم إلى الله ، وإن أقرهم في بلاده وأخذ منهم الجزية كولّي الأمر ؛ لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس ـ . وأخذ الجزية منهم فيه عون للمسلمين ، لا محبة لهم . فإن أبوا الإسلام والجزية قوتلوا مع القدرة . وهذا خاص بأهل الكتاب والمجوس . أما بقية الكفار فلا تقبل منهم الجزية ، بل يقاتلون حتى يدخلوا في الإسلام كالوثنيين والشيوعيين وغيرهم من أصناف الكفرة مع القدرة على ذلك ؛ لقول الله سبحانه : { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله } ، وقوله سبحانه : { انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } ، وقوله سبحانه : { فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } . والآيات في هذا المعنى كثيرة . ومراده سبحانه مع القدرة على ذلك ؛ لقوله عز وجل : { لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } ، وقوله سبحانه : { فَاتَّقُواْ اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } الآية . ولأنه ـ صلى الله عليه

اعلم أرشدك [١] الله لطاعته أن الحنيفية [٢] ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً لــه الدين.

وبذلك أمر الله [٣] جميع الناس ، وخلقهم لها ، كما قال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِــنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون }
ومعنى يعبدون : يوحدوني ، وأعظم ما أمر الله به : التوحيــد [١] ، وهــو إفــراد الله بالعبادة ، وأعظم ما نهى عنه الشرك، وهو دعوة غيره معه [٢] ، والدليل قوله تعالى : { وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا } .

وسلم ــ لم يقاتل المشركين حتى قوي على ذلك . ثم قال تعالى في آخر الآية : { أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ } ؛ أي قواهم بقوة منه .

[١] قال ــ رحمه الله ــ : اعلم أرشدك الله لطاعته ، جمع ــ رحمه الله ــ بين التعليم والدعاء .

[٢] الحنيفية ملة إبراهيم ، وهي أن تعبد الله مخلصا له الدين ، وهي التي قال الله فيها لنبيه : { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا } . فالحنيفية هي الملة التي فيها الإخلاص لله وموالاته ، وترك الإشراك به سبحانه . والحنيف هو الذي أقبل على الله ، وأعرض عما سواه ، وأخلص له العبادة ؛ كإبراهيم وأتباعه، وهكذا الأنبياء وأتباعهم .

[٣] قال : وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها ؛ فأمرهم بالتوحيــد والإخــلاص ، وخلقهــم ليعبدوه ، وأمرهم بأن يعبدوه وحده في صلاتهم ، وصومهم ، ودعائهم ، وخوفهم ، ورجــائهم ، وذبحهم ، ونذرهم ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، كله لله ، كما قال تعالى : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّــا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ } ، وقال : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ، وقال سبحانه : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُــدُواْ رَبَّكُمُ } . هذه العبادة هي التي خلق لها الناس ، خلق لها الثقلان وهي توحيد الله ، وطاعة أوامره ، واجتناب نواهيه ، قال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } : يعني يوحــدوني في العبادة ، ويخصوني بها ، بفعل الأوامر ، وترك النواهي إلى غير ذلك من الآيات .

فإذا قيل لك : ما الأصول الثلاثة [٣] التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل : معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدا –صلى الله عليه وسلم–.

فإذا قيل لك [٤]: من ربك؟ فقل [٥] : ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته ، وهو معبودي ، ليس لي معبود سواه . والدليل [١] قوله تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } .

---

[١] وأعظم ما أمر الله به التوحيد . وهو إفراد الله بالعبادة فتقصده بالعبادة دون كل من سواه ، فلا تعبد معه صنما ولا نبيا ولا ملكا ولا حجرا ولا جنيا ولا غير ذلك .

[٢] الشرك دعوة غيره معه ، وقد قال سبحانه : { وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } ، وقال سبحانه : { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } ، وفي (الصحيحين) : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سئل : أيُّ الذَّنْب أعظم ؟ قال : أنْ تجعلَ لله ندًّا وهو خلقك . قيل : ثم أيّ ؟ قال : أن تقتلَ ولدَك خشيةَ أن يطعمَ معك . قيل : ثم أي ؟ قال : أن تزني بحليلة جارك " . فبين ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الشرك أعظم الذنوب وأشدها وأخطرها . وفي الحديث الآخر يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر . قلنا : بلى يا رسول الله ! قال : الإشراك بالله" . الحديث متفق عليه . فالتوحيد هو إفراد الله بالعبادة . والشرك : هو دعوة غير الله مع الله . تدعوه أو تخافه أو ترجوه أو تذبح له أو تنذر أو غير ذلك من أنواع العبادة . هذا الشرك الأكبر سواء كان المدعو نبيا أو جنيا ، أو شجرا أو حجرا أو غير ذلك ، ولهذا قال تعالى : { وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا } ، فـ {شَيْئًا } : نكره في سياق النهي ، فتعم كل شيء ، وقال سبحانه : { وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } ، فأعظم ما أمر الله به التوحيد ، وهو إفراد الله بالعبادة . وأعظم ما نهى الله عنه هو الشرك بالله عز وجل ، كما تقدم . ولهذا أكثر سبحانه وتعالى في القرآن من الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك .

[٣] هذه الأصول الثلاثة تجمع الدين كله من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وهي التي يسأل عنها العبد في قبره.

[٤] فإذا سأل سائل فقال : من ربك ؟

[٥] فقل : ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته . وهو معبودي ، ليس لي معبود سواه . هذا رب الجميع ، كما قال : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } . والعالمون : جميع المخلوقات كلهم

وكل من سوى الله [2] عالم ، وأنا واحد [3] من ذلك العالم .

فإذا قيل لك [4] : بم عرفت ربك ؟ فقل[5] : بآياته ومخلوقاته ، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما.

عالمون ــ الجن والإنس والبهائم والجبال والأشجار ــ كلها عالم . قال تعالى : { إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } ، فهو رب الجميع له الخلق وله الأمر وهو المستحق بأن يعبد ؛ ولهذا قال سبحانه : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ } الآية .. وهو معبودي ليس لي معبود سواه .

(1) والدليل قوله تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } : يعني الثناء كله لله ، والعبادة من الثناء ومن الحمد .

(2) وكل ما سوى الله عالم ، من الجن والإنس والحيوانات والجبال كلها عوالم .

(3) وأنا واحد من ذلك العالم الذي خلقه الله وأوجده وأوجب عليه طاعته . فعلى جميع العالمين من المكلفين من الجن والإنس أن يطيعوا الله ورسوله ويوحدوه جل وعلا . وهكذا الملائكة عليهم أن يعبدوا الله وحده، ولهذا قال تعالى عن الملائكة : { لَا يَعْصُونَ اللّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } ، وقال تعالى : { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ــ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } ..

(4) إذا قيل لك أيها المسلم بم عرفت ربك الذي أنت تعبده ؟

(5) فقل : عرفته بآياته ومخلوقاته ؛ أي بآياته الكثيرة ، وبمخلوقاته العظيمة ، التي تدل على أنه الرب العظيم، وأنه الخلاق العليم ، وأنه المستحق لأن يعبد ، وأنه الذي يخلق ما يشاء ، ويعطي ويمنع ، وينفع ويضر، بيده كل شيء سبحانه وتعالى ، فهو المستحق بأن نعبده بطاعته ودعائه واستغاثته وسائر أعمالنا وعباداتنا ؛ لأن الله خلقنا لهذا . قال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } ، وهذه العبادة هي توحيده ، وطاعته ، واتباع شريعته ، وتعظيم أمره ونهيه قولا وعملا .

والدليل قوله تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُواْ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }[1].

وقوله تعالى [2]: { إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ }.

---

[1] { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ } كل هذه تدل على أنه رب العالمين وأنه الخلاق العليم ، يأتي الليل بظلامه ، ويذهب النهار بضيائه ، ثم يجيء النهار ، ويذهب الليل ، وهذه الشمس تلع على الناس في الدنيا كلها ، وينتفعون بها ، وهذا القمر كذلك وغير هذه من الآيات العظيمة ، كالأرض وما فيها من جبال وأنهار وبحار وأشجار وحيوانات . وهذه السموات التي يراها الناس ، كلها من آياته الدالة على عظمته ، وأنه رب العالمين وأنه الخلاق العليم وأنه المستحق للعبادة ولهذا قال : { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُواْ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } يعني لا تعبدوا هذه المخلوقات ، بل اعبدوا الذي خلقها وأوجدها سبحانه وتعالى ، فهو المستحق بأن يذل له العبد ويخضع له ، ويطيع أوامره وينتهي عن نواهيه سبحانه وتعالى ، تعظيما وتقديسا له ؛ وخوفا منه ، ورغبة فيما عنده .

[2] وقال سبحانه : { إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ } ، يعني إن ربكم أيها العباد من الجن والإنس هو الله . وربكم يعني خالقكم ، وهو معبودكم الحق وحده لا شريك له : { الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } ؛ أي ثم ارتفع على العرش ، وعلا فوقه سبحانه وتعالى ، فعلمه في كل مكان وهو فوق العرش ، فوق جميع المخلوقات ، والعرش سقف المخلوقات وهو أعلى المخلوقات ، والله فوقه جل وعلا ، استوى عليه استواء يليق بجلاله لا يشابه خلقه في شيء من صفاته . قال تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } ، وقال تعالى : { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } . وقوله : يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا } ، أي يغطي هذا بهذا وهذا بهذا ، {

والرب : هو المعبود[1] . .

والدليل قوله تعالى [2] : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ــ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }.

يَطْلُبُهُ حَثِيثًا } ؛ أي سريعا ، وكل واحد يطلب الآخر ، إذا انتهى هذا ؛ دخل هذا ، وهكذا .. حتى تقوم الساعة . { وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ } : أي وخلق الشمس والقمر والنجوم خلقها مسخرات بأمره ، مطيعات مذللات لأمره سبحانه . ثم قال سبحانه : { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ } ، فالخلق له والأمر له هو الخلاق الذي لا يخالف أمره الكوني الذي هو نافذ في الناس كما قال تعالى : { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } . وقوله : { وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ } ، فأمر الله الكوني القدري لا راد له ، ولهذا قال : { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } . فـ { تَبَارَكَ } : يعني بلغ في البركة النهاية ، وهي صيغة لا تصلح إلا لله ، فلا يقال للعبد تباركت يا فلان ، هذا لا يصلح ، وإنما هو خاص بالله كما قال تعالى : { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ } ، وإنما يقال للمخلوق بارك الله في فلان ، أو فلان مبارك ، أما تباركت ؛ فإنها لا يصلح إلا لله وحده .

[1] والرب هو المعبود ، و { الْعَالَمِينَ } : المخلوقات كلها من الجن والإنس والسماء والأرض ، وهو ربها سبحانه وتعالى ، وهو رب الجميع ، وخالق الجميع جل وعلا .

[2] قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } : خلق الجميع ــ الذين قبلنا ، والذين بعدنا من آدم وما قبله وما بعده ــ ، ثم قال سبحانه : { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا } الآية ؛ فهو خلق الجميع ليتقوه ويعبدوه كما قال تعالى : { لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } . ثم بين سبحانه بعض أفعاله فقال : { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً } ، فجعل الأرض فراشا للناس ، ومهادا لهم، عليها يسكنون ، وعليها يبنون ، وعليها ينامون ، وعليها يمشون ، وأرساها بالجبال ، ثم قال : { وَالسَّمَاءَ بِنَاءً } فجعلها بناء وسقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ، وزينها بالنجوم والشمس والقمر { وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } ؛ أي من السحاب { فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ } أنواع الأرزاق في كل مكان ويحيي الله به الأرض

قال ابن كثير [1] –رحمه الله تعالى – : الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة .

وأنواع العبادة [2] التي أمر الله بها ، مثل الإسلام والإيمان والإحسان ومنه الدعاء ، و الخوف [1]، والرجاء والتوكل ، والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة

بعد موهما ثم قال تعالى : { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّه أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } : أي أشباها ونظراء تعبدوهما معه ، لا صنما ولا جنا ولا ملكا ولا غير ذلك . فالعبادة حق الله وحده ، ليس له نديد ولا نظير ولا مثيل ، بل هو الإله الحق . وكان المشركون يتخذون له الأنداد والنظائر والأمثال من الأصنام والجن والملائكة ويعبدوهم من دون الله ، ويستغيثون بهم فأنكر الله عليهم ذلك ، وبين أن هذه المخلوقات ليس لها حق في العبادة ، ولا قدرة لها على شيء إلا بإذنه سبحانه وتقديره .

[1] قال الحافظ ابن كثير ــ رحمه الله ــ في تفسيره : الخالق لهذه الأشياء من سماء وأرض وثمار وأشجار ومطر وغير ذلك : هو المستحق للعبادة سبحانه وتعالى ، وأن يطاع ؛ لأنه رب الجميع ، وخالق الجميع ، كما قال تعالى : {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَّاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } .

[2] العبادة أنواع : فمنها الإسلام بأركانه ، فلك ما أمر الله به من أعمال الإسلام عبادة : من صلاة وصوم وغير ذلك ، وهكذا الإيمان بأعماله الباطنة ، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره ، وكذلك الخوف والمحبة والرجاء إلى غير ذلك . فكل ما يتعلق بالقلوب داخل في العبادة بل هو أعلى أنواع العبادة وأعظمها . فالواجب على كل مكلف إخلاص العبادة لله وحده ، فلا يدعو مع الله الأنبياء ولا الأولياء ولا الأصنام ولا الأشجار ولا الأحجار ولا النجوم ؛ لأن العبادة حق لله وحده ، قال تعالى : { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّه فَلَا تَدْعُو مَعَ الله أَحَدًا } . وقال تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ، وقال تعالى : { وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ الله مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا منَ الظَّالمينَ } . وقال سبحانه وتعالى : { وَمَنْ يَّدْعُ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } ، وقال عز

والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر وغير ذلك من العبادة التي أمر الله بها ، كلها لله . والدليل قوله تعالى : { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ اللهِ أَحَدًا } .

فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر ، والدليل قوله تعالى [٢] : { وَمَن يَّدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } .
وفي [٣] الحديث : " الدعاء مخ العبادة " ، الدليل قوله تعالى : { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } .

وجل : { ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ — إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } ، فسمى سبحانه دعاءهم شركا ، فالواجب على جميع المكلفين إخلاص العبادة لله وحده ، رجاء وخوفا واستعانة واستغاثة وذبحا ونذرا وخشية لله وصلاة وصوما إلى غير ذلك ، كله لله وحده فمن تقرب لغير الله من ولي أو نبي أو صنم أو شجر أو حجر بالدعاء أو بالذبح أو بالنذر أو بالصلاة أو بالصوم ونحو ذلك ، فهو مشرك كافر أشرك بالله وعبد معه سواه ، كفعل المشركين الأولين من عباد القبو وعباد الأشجار والأحجار والأصنام ، ولهذا قال عز وجل : { وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } ، وقال تعالى : { إِنَّهُ مَن يُّشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ } . وقال سبحانه وتعالى : { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ — بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ } .

[١] فكل هذه العبادات يجب إخلاصها لله ، ومن صرف منها شيئا لغير الله من صنم أو شجر أو حجر أو قبر فهو مشرك بالله .

[٢] لقوله تعالى : { وَمَن يَّدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } ، ولغيرها من الآيات السابقات ، وهذا دليل على ما تقدم .
[٣] وفي الحديث : " الدعاء مخ العبادة " ، وفي لفظ آخر : " الدعاء هو العبادة " ، وقال سبحانه : { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } ، فسمى الدعاء عبادة في قوله : { أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ } يعني عن دعائي . فالدعاء هو أن يضرع إلى الله يدعوه ، ويسأله النجاة ، ويسأله الرزق ، كل هذا عبادة . فإذا

ودليل [1] الخوف قوله تعالى : { فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ }.

صرفها للصنم أو للشجر أو للحجر أو لميت ، صار مشركا بالله عز وجل فيجب الحذر من الشرك كله ، دقيقه وجليله ، وأن تكون العبادة لله وحده . لكن دعاء الحي الحاضر القادر ، والاستعانة به في الشيء المقدور عليه ، لا بأس به ولا يعتبر داخلا في الشرك ؛ فلو قلت لأخيك الحاضر : يا عبد الله ! أعنّي على قطع هذه الشجرة أو على حفر هذه البئر ؛ فلا بأس بذلك كما قال سبحانه في قصة موسى : { فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ } الآية . استغاثة الاسرائيلي على القبطي ؛ لأن موسى قادر على إغاثته ، يتكلم ويسمع . أما إذا اعتمد على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله حاضرا أو غائبا أو ميتا ، واعتقد أنه ينفع من دعاه أو يضر لا بالأسباب الحسية من الشرك بالله . كما قال تعالى عنهم أنهم قالوا : {هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ } ، فيظنون أنهم يستطيعون بعبادتهم إياهم أن يشفعوا لهم عند الله في حصول مطالبهم أو أنهم يقربونهم إلى الله زلفى . كما قال الله سبحانه عنهم في الآية الآخرى : { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى } . وهذا من جهلهم وضلالهم بالشافع والمشفوع إليه . والله سبحانه له الشفاعة جميعا ، وهو الذي يتصرف في عباده كيف يشاء ، فلا يأذن بالشفاعة إلا فيمن يرضى الله عمله ، ولا يشفع أحد عنده إلا بعد إذنه ، كما قال تعالى : { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } ، وقال تعالى : { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى } ، فالشفاعة لا تكون إلا بإذنه للشافع ، ورضاه عن المشفوع فيه . وهو سبحانه لا يرضى بالشفاعة إلا لأهل التوحيد ، كما صحَّ عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال ــ لما سأله أبو هريرة قائلا : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ ــ قال : " من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه " [أخرجه البخاري في صحيحه] . ولا تكون الشفاعة إلا لمن ارتضى قوله وعمله من أهل التوحيد والإيمان .

[1] ومن ذلك الخوف وهو أقسام ثلاثة :

الأول : خوف السر وهذا خاص بالله ؛ لأنه القادر على كل شيء وهو الذي يخاف ويخشى . كما قال تعالى : { فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ } ، وقال تعالى : { وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ } . وقال : { فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ } . فالواجب خشية الله وخوفه ؛ لأنه مصرف القلوب ومقلبها والقادر على كل شيء ، وهو الذي ينفع ويضر ، ويعطي ويمنع ، فالواجب تخصيصه بالخوف وألا يخاف إلا الله في كل الأمور . ولكن خوف السر يختص به سبحانه وهو كون الإنسان يخاف من أجل قدرة خاصة سرية ليست حسب الحس . ولذلك يعتقد عباد القبور أن بعض الناس له القدرة على التصرف في الكون مع الله جل وعلا ، ويعتقدون ذلك أيضا في

وديل [1] الرجاء قوله تعالى : { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } .

الأصنام والجن وغيرها ، وهذا هو الشرك الأكبر ، ويعتقد فيهم أيضا أن لهم القدرة على العطاء والمنع ، وزيغ القلوب ، وموت النفوس دون أسباب حسية .

الثاني : خوف الأسباب الحسية كما قال تعالى في قصة أُحُد لما قيل للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إن المشركين قد جمعوا لكم وسيرجعون إليكم فأنزل الله في ذلك : { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ } ، فالشيطان يخوف الناس من أوليائه ، ويعظمهم في صدور الناس حتى يخافوهم ، والله يقول : { فَلَا تَخَافُوهُمْ } ، بل اعتمدوا علي ، وأعدوا العدة ، ولا تبالوا بهم ن كما قال تعالى : { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّنْ قُوَّةٍ } ، وهذا الخوف الحسي لا بأس به لكن الخوف القلبي خوف السر هذا هو المنهي عنه أما الخوف الحسي ، مثل أن يخاف اللص أو السارق أو العدو ، فيعد العدة من السلاح اللازم كل هذا لا بد منه ولهذا قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ } ، وقال سبحانه في قصة موسى لما خرج من مصر خائفا من فرعون وقومه : { فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ } ؛ فإن هذا الخوف خوف حسي لا بأس به لكن لا يجوز خوف العدو خوفا يمنع من جهاده ، ونصر الحق ، وإنما يحمله هذا الخوف على الإعداد للعدو وأخذ الحذر .

الثالث : الخوف الطبيعي الذي جبل عليه الإنسان وهذا لا حرج فيه مثل خوف الإنسان الحية والعقرب والسبع ، فيتباعد عنها ويقتلها ويتباعد عن مظنة السباع حتى لا يتأذى بها . هذا أمر لا بد منه . والله جبل الناس على الخوف مما يؤذي حتى يتحرز منه ؛ يخاف البرد فيلبس الثياب الغليظة ، ويخاف من الجوع فيأكل ، ويخاف العطش فيشرب . هذه أمور طبيعية لا بأس بها .

[1] وهكذا الرجاء عبادة لله فيرجو الله ويحسن به الظن كما قال تعالى : { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } . فالرغبة إليه ، ورجاء ما عنده ؛ عبادة له سبحانه وتعالى ، قال تعالى : { إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَاشِعِينَ } . فالرغب : الرجاء . الرهب : الخوف . وكلاهما : عبادة . وعلى العبد أن يحسن ظنه

ودليل التوكل [1] قوله تعالى : { وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ } ، { وَمَن يَّتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } .

ودليل [2] الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى : { إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَاشِعِينَ } .

ودليل الخشية قوله تعالى : { فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي } الآية .

ودليل الإنابة [3] قوله تعالى : { وَأَنِيبُواْ إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ } الآية .ودليل الاستعانة [1] قوله تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } وفي الحديث : " إذا استعنت فاستعن بالله " .

بربه ، ويعمل بالأسباب الشرعية . وإن الظن الحسن مع الأخذ بالأسباب يعود على العبد بـالخير وبالرحمة وبدخول الجنة وبمغفرة الذنوب .

[1] وهكذا التوكل عبادة ، وهو التفويض إلى الله ، والاعتماد عليه في كل الأمور مع الأخذ بالأسباب . فتعتمد على الله في السلامة من الشر ، والعافية من الفتن ، وحصول الرزق ، وفي دخول الجنة ، والنجاة من النار ، مع الأخذ بالأسباب المشروعة ، قال تعالى : { وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ } ، وقال تعالى : { وَمَن يَّتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } : يعني كافيه .

[2] وهكذا الرغبة والرهبة والخشية من الله كل هذه عبادات . قال تعالى عن الأنبياء والصالحين : { إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَاشِعِينَ } يعني : خائفين يخشون الله ، ويخشعون لعظمته : أي يذلون .

[3]) وهكذا الإنابة عبادة : قال تعالى : { وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له } . والإنابة معناها : الرجوع إلى الله ، والتوبة إليه ، والاستقامة على طاعته ؛ فهذه عبادة لله ، يجب على الناس أن ينيبوا إلى الله ، ويرجعوا إليه ، ويتوبوا إليه ، ويستقيموا على طاعته .

ودليل الاستعاذة [2] قوله تعالى : { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } وقوله تعالى : { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ }.

ودليل الاستغاثة [3] قوله تعالى : { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ } الآية .ودليل الذبح (٢) قوله تعالى : { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ــ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } ومن السنة : " لعن الله من ذبح لغير الله " .
ودليل النذر[4] قوله تعالى : { يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا } .

---

[1] وهكذا الاستعانة عبادة كما قال تعالى : { إياك نعبد وإياك نستعين } ، وفي الحديث : " إذا استعنتَ فاستعنْ بالله " . فيستعين العبد بالله ؛ فتقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك ، اللهم أعني على طاعتك، اللهم أعني على كل خير ، إلى غير هذا ، تستعين بالله في كل المهمات .

[2] وهكذا الاستعاذة عبادة : أن تستعيذ بالله من الشرور ، وتلجأ إليه ، كما قال تعالى : { قال أعوذ برب الفلق } وقوله : { قل أعوذ برب الناس } . فالاستعاذة بالله من الشيطان ، ومن كل مؤذ ، ومن كل عدو، أمر مأمور به ، كما قال تعالى : { وإما يترغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله } .

[3] وهكذا الاستغاثة عبادة أن تستغيث بالله في الشدائد من عدو ، أو تطلبه إنزال الغيث المبارك، أو يكشف الضر ، كما قال تعالى : { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ } .
(٢) وهكذا الذبح عبادة : قال تعالى : { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي } أي ذبحي ، { وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } .
[4] وهكذا النذر عبادة ، قال تعالى : { يُوفُونَ بِالنَّذْرِ } . وقال تعالى : { وَمَا أَنْفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ } الآية . وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " مَنْ نَذَرَ أنْ يطيعَ الله فليُطعْهُ ، ومن نذَرَ أنْ يعصِه فلا يعْصِه" . فالنذر عبادة وطاعة لله . إذا فعله الإنسان لزمه الوفاء ، والنذر مكروه ؛ لأن في التزاما ، وفيه مشقة . ولهذا نهى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن النذر وقال : " إن النذر لا يأتي بخير " ، ولكن إذا نذر طاعة لزمه الوفاء ؛ لقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " مَنْ نذر أن يطيعَ الله ؛ فليطعه " . فإذا نذر عبادة من صلاة أو صوم أو غيرهما لزمه الوفاء لما تقدم.

الأصل الثانـي: معرفة دين الإسلام [1] بالأدلة ؛ وهو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله . وهو ثلاث مراتب :
الإسلام و الإيمان والإحسان ، وكل مرتبة لها أركان . فأركان الإسلام خمسة [2] :
شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ...

---

[1] هذا هو الأصل الثاني : وهو دين الإسلام ، وهو ثلاث مراتب بينها الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ . فأولها الإسلام وهو الإخلاص لله وحده : يعني الاستسلام لله بالعبادة ، وتخصيصه بها دون كل ما سواه . والبراءة من الشرك وأهله . فإذا فعل ذلك فقد أسلم يعني : انقاد وذل وخضع لله وحده بالعبادة دون كل ما سواه ، وتبرأ من الشرك وأهله . قال تعالى : { فَمَن يَّكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى } ، والكفر بالطاغوت معناه : البراءة من الشرك وأهله ، وإنكار ذلك ، واعتقاد بطلانه . وهناك مرتبة الإيمان ، ومرتبة الإحسان ، وكلها داخلة في دين الإسلام ، الدين الذي شرعه الله لعباده وأرسل به الرسل جميعا . ومرتبة الإسلام تشمل الأعمال الظاهرة .

[2] وأركانه خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا . كما ثبت ذلك عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في قوله : " بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقامِ الصلاة ، وإيتاءِ الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت " . فأول أركان الإسلام : شهادة أن لا إله إلا الله ، وبها يدخل العبد في الإسلام ؛ فيشهد أن لا إله إلا الله : أي لا معبود حق إلا الله . وهي نفي وإثبات ؛ فلا إله : نفي ، وإلا الله : إثبات . قال تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ، وقال : { وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } الآية . وقال تعالى : { ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ } . أما قولها بدون العمل بها ، فلا تنفع ؛ كأن يقول : لا إله إلا الله ، ولا يخص الله بالعبادة ؛ فإن شهادته لا تنفع؛ كالمنافقين ، فإنهم يقولونها ولا يعتقدونها ، فهم في الدرك الأسفل من النار . فالذي يقول لا إله إلا الله ، ويعبد القبور والأصنام ؛ لا تنفعه بل هي باطلة . وأما الشهادة الثانية وهي : أن محمدا رسول الله؛ فدليلها قوله تعالى : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ } ، يعني : محمدا ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ تعرفونه؛ لأنه من أنفسكم ، وهو من أشرف قبائلكم من بني هاشم : { عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ } : أي يشق عليه ما يشق عليكم ، { حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ } : يعني على هدايتكم ، وإنقاذكم من النار .

وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان[1] وحج بيت الله الحرام [2] ..فدليل الشهادة [3]: قوله تعالى : { شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم } .ومعناها : لا معبود بحق إلا الله وحده . " لا إله " : نافيا جميع ما يعبد من دون الله . " إلا الله" مثبتا العبادة لله وحده ، لا شريك له في عبادته ، كما أنه ليس له شريك في ملكه . وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : { وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون ــ إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ــ وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون } (١) وقوله تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

وقال تعالى : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ } . وبعد هذه الشهادة على العبد أن يطيعه فيما أمر ، وأن يصدقه فيما أخبر ، وأن يجتنب ما عنه نهى وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع .

فلا بد من هذه الأمور الأربعة :

الأول : طاعته فما أمر من الصلاة والزكاة وغيرها .

الثاني : تصديقه فيما أخبر عن الآخرة والجنة والنار وغير ذلك .

الثالث : واجتناب ما عنه نهى وزجر ، كالزنا والربا وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله .

الرابع : وأن لا يعبد الله إلا بما شرع ؛ فلا يبتدع في الدين مما لم يشرعه الله ؛ لقول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " من عمل عملًا ليسَ عليهِ أمْرُنا فهو رَدٌّ " . وفي رواية : " مَنْ أحْدَثَ في أمرنا ما ليس منه فهو ردّ " : أي مردود .

[1] ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد ؛ قوله تعالى : { وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَة } . وقال تعالى : { فَإِنْ تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ } . وقال تعالى : { فَإِنْ تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ } . ودليل الصيام : قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ } إلى قوله سبحانه : { شَهْرُ رَمَضَانَ } ، أي أن الصيام واجب عليكم كل عام في شهر رمضان .

[2] ودليل الحج قوله تعالى : { فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } الآية ، وهو مرة في العمر ؛ لقول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع " .

[3] هذه الصفحة والتالية ، تابعة للمتن ، وقد تقدم شرحها فيما مضى .

تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُوْنِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوْا اشْهَدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } . ودليل شهادة أن محمدا رسول الله قوله تعالى : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } . ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع . ودليل الصيام قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } .ودليل الحج قوله تعالى : { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } .

(المرتبة الثانية) :

الإيمان [1] . وهو بضع وسبعون شعبة ، فأعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان. وأركانه ستة : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره . والدليل على هذه الأركان الستة

---

[1] الإيمان : هو ما يتعلق بالقلوب من التصديق بالله ، وأنه رب العالمين ، وأنه هو المستحق للعبادة ، والتصديق بالملائكة وبالكتب وبالرسل وبالبعث بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره . كل هذا يتعلق بالقلوب . فهو أصل من الأصول التي لا بد منها . فلا إسلام إلا بإيمان ، ولا إيمان إلا بإسلام . فلا بد من هذا وهذا . لا بد من إسلام الجوارح ، ولا بد من إسلام القلوب وإيمانها . ولهذا جمع الله بين الأمرين في كتابه العظيم . وهكذا الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذكرهما جميعا . فالإسلام هو الانقياد الظاهر بطاعة الله وترك معصيته . والإيمان يشمل الأعمال الباطنة مما يتعلق بالقلوب وتصديقها . ويطلق الإسلام على الإيمان ، ويطلق الإيمان على الإسلام . فإذا قيل الإيمان ؛ عم الجميع ، وإذا قيل الإسلام ؛ عم الجميع . قال تعالى : { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ } ، فيعم ما يتعلق بالباطن والظاهر . وهكذا الإيمان إذا أطلق عم الجميع ؛ لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الحديث الصحيح : " الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق " . فالإيمان هنا يعم الجميع ، فيعم أركان الإسلام ، ويعم جميع الأعمال الظاهرة ، كما يعم الباطنة ، كما أنه يشمل الإحسان .

قوله تعالى : { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } الآية . ودليل القدر قوله تعالى : { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } .

(المرتبة الثالثة) : الإحسان [1] : ركن واحد ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . والدليل قوله تعالى : { إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } .

وقوله تعالى : { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ــ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ــ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ــ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } . وقوله تعالى : { وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ } الآية .

والدليل من السنة : حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– قال : بينما نحن جلوس عند النبي – صلى الله عليه وسلم– إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد . فجلس إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلَّم–فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد! أخبرني عن الإسلام ؟ فقال : " أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا " ، قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : أخبرني عن الإيمان. قال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره " ، قال : أخبرني عن الإحسان . قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه ؛ فإن يراك " ، قال : أخبرني عن الساعة . قال : " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل " ، قال : أخبرني عن أماراتها . قال : " أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة

---

[1] أما الإحسان فهو إكمال العبادة ظاهرا وباطنا وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . فمن عبد الله على هذا الاستحضار ؛ فقد أدرك مرتبة الإحسان ، واجتمع له الخير كله . كما قال سبحانه : { إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ } ، وقال عز وجل : { إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } . والآيات في هذا المعنى كثيرة .

العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان " . قال : فمضى ، فلبثنا مليا . فقال : يا عمر! أتدرون من السائل ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : " هذا جبريـــل ؛ أتـــاكم يعلمكم أمر دينكم " .

(الأصل الثالث) [1] :

معرفة نبيكم محمد – صلى الله عليه وسلَّم– وهو محمد بن عبدالله بن عبـــدالمطلب[2] بن هاشم ، وهاشم من قريش ، قريش من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيـــل بـــن إبراهيم الخليل ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

وله من العمر ثلاث وستون سنة ، منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعـــشرون نبيـــا رسولاً ، نبئ بـــ (اقرأ) [1]

---

[1] هذا هو الأصل الثالث وهو نبينا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فعلى الإنسان أن يعـــرف نبيه الذي أرسله الله إليه ، وبلغه الرسالة ، وبين له الشرائع التي أمره الله بها ، وأوضح له العبادة التي خلقنا الله لها .

[2] هذا النبي هو محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، خاتم الأنبياء ، ورسول الله لهذه الأمـــة مـــن الجن والإنس ، أرسله الله للناس جميعا ، قال تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُـــولُ اللهِ إِلَـــيْكُمْ جَمِيعًا } ، وقال سبحانه : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَّنَذِيرًا } . فاسمه محمد ، واسمـــه أحمد ، واسمه الحاشر ، والماحي ، والمقفي ؛ لأنه خاتم الأنبياء ، وهو نبي التوبة ، ونبي الرحمة ، ونبي الملحمة . هذه كلها أسماؤه ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، لكن أشهرها وأفضلها وأعظمها محمـــد الذي سماه به أهله ، وجاء به القرآن ، قال تعالى : { مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ } . وهكذا (أحمد) كمـــا بشّر به عيسى : { وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَّأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ } ، فهو محمد وأبوه اسمه عبـــد الله ، وجده اسمه عبد المطلب . وعبد الملب لقب ، وإلا فاسمه شيبة وأبو جده اسمه هاشم وهو ســـيد من سادات قريش كما أن عبد المطلب كذلك . وهاشم من قريش قبيلة عظيمـــة وهـــي أفـــضل العرب . والنبي ــ صلى الله عليه وسلَّم–من خاصتهم من بني هاشم وهم أفضل قريش . واسمـــه فهر بن مالك ، وقيل قريش هو النضر بن كنانة جد فهر بن مالك . وقريش من العرب المستعربة التي استعرب لسانها فصار لها لسان عربي واضح ، فهي أكثر عروبة من قحطان . ولهذا يقال لهم العرب العاربة ، والعرب المستعربة . وهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل .

وأرسل بـ (المدثر) [٢]. وبلده مكة ، بعثه الله بالنذارة عن الشرك ، ويدعو إلى التوحيد . والدليل قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ــ قُمْ فَأَنْذِرْ ــ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ــ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ــ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ــ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ ــ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ } . ومعنى { قُمْ فَأَنْذِرْ } : ينذر عن الشرك ، ويدعو إلى التوحيد . { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ } : عظمه بالتوحيد . { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } : أي طهر أعمالك عن الشرك . { وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } : الرجز : الأصنام ، وهجرها : تركها وأهلها ، والبراءة منها وأهلها .

أخذ على هذا عشر سنين[٣] يدعو إلى التوحيد ، وبعد العشر[١] عرج به إلى السماء ، وفرضت عليه الصلوات الخمس ، وصلى في مكة ثلاث سنين .

---

[١] وهذا النبي العظيم وهو محمد – صلى الله عليه وسلَّم –نبئ بـ (اقرأ) ؛ فأول ما نزل عليه : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } ، وصار بها نبيا . وقال أتاه جبريل وهو في الغار ــ غار حراء ــ فأقرأه هذه السورة .

[٢] ثم بعد مدة يسيرة جاءه بـ (المدثر) ، فصار رسولا بقوله : { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ــ قُمْ فَأَنْذِرْ } . والمدثر : الملتحف؛ لأنه جاء بعد ما جاءه الوحي ، اشتد عليه الأمر وقال : زملوني زملوني ... دثروني دثروني ؛ من شدة ما أصابه من الخوف لما ضغط عليه جبريل ــ عليه الصلاة والسلام ــ مرات . ثم قال : اقرأ ؛ تمهيدا لأعباء الرسالة وعظمتها . ثم قال الله : { قُمْ فَأَنْذِرْ } ؛ أي قم فأنذر الناس . فصار رسولا بأمره بالنذرة . { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ } : أي عظمه بالتوحيد . { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ }: أي طهر أعمالك من الشرك ؛ لأن تطير الملابس غير مراده في هذه الآية ؛ لأن الصلاة لم تفرض في ذلك الوقت ، فالمراد هنا الأعمال كما قال تعالى : { وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ } ، فالعمل يسمى لباسا . { وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } : فالرجز : الأصنام ، وهجرها تركها ، والبراءة منها وأهلها .

[٣] أخذ على هذا الأمر عشر سنين ، يدعو إلى التوحيد ويحذر من الشرك ، ويأمر بخلع عبادة ما سوى الله سبحانه ، وترك عبادة الأصنام والأوثان ، ويأمرهم أن يخصوا الله بالعبادة في دعائهم ونذرهم وذبائحهم وغير ذلك .

وبعدها أمر بالهجرة [٢] إلى المدينة . والهجرة : الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة ، والدليل قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَـــةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنْتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُواْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ــ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِـــنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ــ فَأُوْلَئِكَ عَـــسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا } وقوله تعالى : { يَا عِبَادِيَ الَّـــذِينَ آمَنُـــوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون } .قال البغوي ــ رحمه الله ــ سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا ، ناداهم الله باسم الإيمان .والدليل على الهجرة من السنة : قوله ــ صلى الله عليه وسلَّم-: " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبـــة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها".

---

[١] ثم بعد العشر عرج به ــ صلى الله عليه وسلَّم–إلى السماء مـــع جبرائيـــل ، وفتحـــت لـــه السموات إلى موضع رفيع فوق السماء السابعة ، حتى سمع فيه صريف الأقلام ، ثم ناداه الله جل وعلا وكلمه ، وفرض عليه الصلوات الخمس ، فرضها خمسين صلاة ثم لم يزل يطلبه التخفيـــف حتى جعلها الله خمسا ، فقال الله سبحانه : هي خمس في العدد ، وهي خمسون في أم الكتاب ، فمن حافظ على الصلوات الخمس وأداها ؛ كتب الله له أجر خمسين ، فالحسنة بعشر أمثالهـــا . فـــترل بذلك ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، فاستقرت الصلاة خمس صلوات في اليوم والليلـــة : الظهـــر والعصر والمغرب والعشاء والفجر . صلاهما في مكة ثلاث سنين قبل أن يهاجر .

[٢] ثم هاجر إلى المدينة بعد ما اشتد عليه أذى قريش له ولأصحابه ، فأذن الله له بالهجرة من مكة ؛ لأجل أذى وظلم قريش ، إلى المدينة إلى الأنصار وقد بايعوه في موسم الحج على أن ينتقل إليهم وينصروه ــ رضي الله عنهم وأرضاهم ــ . فلما تمت البيعة وأذن الله له بالهجرة هاجر إلـــيهم . وكان بعض أصحابه قد هاجر قبل ذلك إلى الحبشة ومكثوا عند النجاشي مدة . ثم هاجر بقيتـــهم إلى المدينة . فلما استقر بالمدينة جاء الذين في الحبشة إلى المدينة ، واســـتقر الجميـــع في المدينـــة ، والحمد لله .

فلما استقر [1] في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام ، مثل الزكاة ، والصوم ، والحج ، والأذان ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من شرائع الإسلام . أخذ على هذا عشر سنين ، وتوفي [2] ــ صلاة الله وسلامه عليه ــ ودينه باق ، وهذا دينه . لا خير إلا دل الأمة عليه ، ولا شر إلا حذرها منه . والخير الذي دلها عليه التوحيد ، وجميع ما يحبه الله ويرضاه ، والشر الذي حذرها عنه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه .بعثه الله إلى الناس كافة ، وافترض طاعته على جميع الثقلين ، الجن والإنس ، والدليل قوله تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } وكمل الله به الدين ، والدليل قوله تعالى : { تَخْشَوهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } والدليل على موته ــ صلى

---

[1] فلما استقر في المدينة بعد الهجرة أمره الله ببقية شرائع الإسلام من الزكاة وصيام رمضان وحج البيت والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأن المدينة صارت دار إسلام وهي العاصمة الأولى للمسلمين ؛ فلهذا أمروا بهذه الأمور ؛ لأنهم يتمكنون حينئذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا من رحمة الله عز وجل أن أجل هذه الواجبات إلى أن هاجر إلى المدينة ، وكان أصل الزكاة مشروعا في مكة ، كما قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية : { وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ } ، ولكن أنصباؤها ومصارفها وتفاصيل أحكامها ؛ كل هذا صار في المدينة ، وهكذا صيام رمضان شرع في السنة الثانية من الهجرة ، وهكذا الحج شرع في السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة ، وأنزل الله فيه : { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } في سورة آل عمران وهي مدنية . وهكذا الجهاد أمر به في المدينة ، وكان في أول الأمر يجاهد من جاهده ، ويكف عمن كف عنه ، ثم أمر بأن يبدأ بالقتال ، وأن يجاهد الكفار وإن لم يبدؤوا، فيدعوهم إلى الله يرشدهم إليه، فإن أجابوا= =وإلا قاتلهم حتى يستجيبوا للحق إلا أهل الكتاب فإنه يقبل منهم الجزية . وسن الله في المجوس سنة أهل الكتاب ؛ إما إسلام وإما جزية ، وأما بقية الكفار إما الإسلام وإما السيف مع القدرة .

[2] وبعدما أكمل الله به الدين توفاه الله إليه بعد عشر سنين من الهجرة ، قال تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } . وقال جل وعلا : { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَّإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ــ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ } .

الله عليه وسلَّم–قوله تعالى : { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ــ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ } .

والناس إذا ماتوا يبعثون [1]، والدليل قوله تعالى : { مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى } .وقوله تعالى : { وَاللهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ــ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا } . وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم ، والدليل قوله تعالى : { وَلله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى } . ومن كذب بالبعث كفر ، والدليل قوله تعالى : { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنْ لَنْ يُّبْعَثُواْ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ } .

[1]) والناس إذا ماتوا يبعثون ، كما قال تعالى : { وَاللهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ــ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا } . وقال تعالى : { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنْ لَنْ يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ } . وقال تعالى : { وَللَّه مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى } ، فهم محاسبون ومجزيون يوم القيامة ، ويعطون كتبهم بأيمانهم وشمائلهم ، فالسعيد يعطى كتابه بيمينه ، والشقي يعطى كتابه بشماله . السعيد يرجح ميزانه ، والكافر يخف ميزانه ، وأصحاب المعاصي على خطر فقد يرجح ميزانهم بالتوبة ، أو بعفو الله ، أو بالحسنات ، وقد يخف ميزانهم فيكونوا من أهل النار ، فيعذبون فيها ما شاء الله ، ثم يخرجهم الله من النار بسبب موتهم على الإسلام . فالواجب على كل مكلف أن يحذر سيئات العمل ، وأن يلزم التوبة والاستقامة؛ لأنه لا يدري متى يهجم عليه الأجل . فالحزم كل الحزم أن يأخذ المسلم بالعزيمة ن ويجاهد نفسه حتى يستقيم على الحق، والتوبة النصوح من جميع الذنوب= =، حتى إذا هجم عليه الأجل ؛ إذا هو على خير عمل ، وعلى استقامة ؛ فيفوز بالسعادة والنجاة يوم القيامة .

وأرسل الله [١] جميع الرسل مبشرين ومنذرين ، والدليل قوله تعالى : { رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } .

وأولهم نوح ــ عليه السلام ــ وآخرهم محمد – صلى الله عليه وسلَّم–[٢]، وهو خاتم النبيين ، والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى : { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ } .

---

[١] والرسول ــ صلى الله عليه وسلَّم–مرسل إلى جميع الناس إلى الجن والإنس ، كما قال تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } ، وقال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } ؛ فهو خاتم الأنبياء ليس بعده نبي . وهكذا الرسل جميعا أرسلوا إلى أممهم مبشرين ومنذرين ، من أولهم إلى آخرهم ، فأولهم نوح بعثه لما وقع الشرك في قومه . وقبله آدم ني رسول مكلف ، أرسله الله إلى ذريته ؛ ليعبدوا الله بالشريعة التي جاء بها أبوهم آدم ــ عليه الصلاة والسلام ــ . واستمروا على الإسلام والاستقامة ، حتى وقع الشرك في قوم نوح ، فلما وقع الشرك في قوم نوح ؛ أرسل الله إليهم نوحا ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، وهو أول الرسل إلى أهل الأرض بعد وقوع الشرك . وكل أمة بعث الله إليهم رسولا ؛ فعاد أرسل الله إليهم هودا ، ثم أرسل الله صالحا إلى قومه ثمود ، ثم أرسل إبراهيم ولوطا وشعيبا وهارون وعيسى وأيوب وداود وسليمان ، ثم ختموا بمحمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ .

[٢] ثم ختموا بمحمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، وهو خاتمهم وآخرهم وأفضلهم ــ عليه الصلاة والسلام ــ قال تعالى : { رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } ، فقوله مبشرين : يعني : يبشرون من أطاعهم بالجنة ، ومنذرين: يعني ينذرون الناس من الشرك بالله ومن النار والعذاب الأليم إذا خالفوا أمر الله . وهكذا محمد – صلى الله عليه وسلَّم–أرسله الله بشيرا =ونذيرا ، كما قال تعالى : { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ــ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا } ، وقال تعالى : { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } . فالواجب على جميع الأمم اتباع رسلهم . فكل أمة يجب عليها أن تتبع رسولها ، وتنقاد لما جاء به من الهدى . وقد وعدها الله على ذلك السعادة في الدنيا والآخرة ، وأكثر الخلق قد عصوا رسلهم وخالفوا ما جاءت به الرسل ، قال تعالى : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } وقال تعالى : { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ } ، وقال

وكل أمة بعث الله إليهم رسولا من نوح إلى محمد يأمرهم [1] بعبادة الله وحده وينهاهم عن الطاغوت[2] . والدليل قوله تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ

تعالى : { وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} ، وقال تعالى : { وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ } .

[1] وكل رسول يدعو أمته إلى توحيد الله ، وطاعته وترك الشرك به ومعصيته . قال تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ } ، اعبدوا الله يعني : أطيعوه ووحدوه واستقيموا على دينه ، واجتنبوا الطاغوت .

[2] والطاغوت : هو كل ما عبد من دون الله وهو راض ، وكل من حكم بغير ما أنزل الله ، أو دعا إلى ذلك . والطاغوت : هو الذي يتجاوز الحد إما بشركه وكفره ، وإما بدعوته إلى ذلك ، وشرهم ورأسهم إبليس ـ لعنه الله ـ. وهكذا كل من دعا إلى عبادة نفسه ، أو رضي أن يعبد من دون الله ، كفرعون والنمرود ، أو ادعى شيئا من علم الغيب ؛ كالكهنة والعرافين والسحرة في الجاهلية وفي الإسلام . وكذلك من حكم بغير ما أنزل الله متعمدا ، فهؤلاء رؤوس الطواغيت . وكل من جاوز الحد ، وخرج عن طاعة الله ؛ يسمى طاغوت . قال تعالى ك { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } ؛ فالرشد : الإسلام وما جاء به النبي ـ صلى الله عليه وسلَّم-، والغي : الكفر بالله والضلال . قال تعالى : { فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } . فيكفر بالطاغوت : يعني يتبرأ منه ، ويعتقد بطلانه ، فيتبرأ من الشرك ، { وَيُؤْمِنْ بِاللهِ } : يعني يصدق أن الله معبوده ، وإلهه الحق ، ويؤمن بالشريعة وبمحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وينقاد لذلك . هذا هو المؤمن . ثم قال : { فَقَدِ اسْتَمْسَكَ } : يعني : استعصم ، { بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى } : وهي لا إله إلا الله ؛ كلمة التوحيد ، يعني : فقد استمسك بالعروة التي لا انقطاع لها ، بل من استمسك بها صادقا واستقام عليها ، وصل إلى الجنة والكرامة ؛ لأن لها حقوقا ، وهي : توحيد الله ، وطاعته ، واتباع شريعته . ومحمد – صلى الله عليه وسلَّم–هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وهو رسول الله إلى جميع أهل الأرض ، من الجن والإنس ، فيجب على جميع المكلفين طاعته واتباع شريعته، ولا= =يجوز لأحد الخروج عنها . وجميع الشرائع الماضية كلها نسخت بشريعته ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما قال الله عز وجل : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } الآية . وقال قبلها سبحانه : { فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } . وقال سبحانه : { وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } ، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث

وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ } وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله .قال ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده مــن معبــود أو متبوع أو مطاع ، والطواغيت كثيرون ، ورؤوسهم خمسة : إبليس ــ لعنــه الله ــ ، ومن عبد وهو راض ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ، ومن ادعى شيئا مــن علــم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى : { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَــد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } .

وهذا هو معنى لا إله إلا الله ، وفي الحديث : " رأس الأمر(1) الإســلام ، وعمــوده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله " . والله أعلم(2).

الصحيح : " والذي نفسي بيده ؛ لا يسمع بي أحدٌ مِن هذه الأمةِ يهوديّ ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمنْ بالذي أرسِلْتُ به إلا كان من أهل النار " [أخرجــه مــسلم في صــحيحه] . والآيــات والأحاديث في ذلك كثيرة . وقد أجمع أهل العلم ــ رحمهم الله ــ على أنه لا يسع أحدا من هذه الأمة الخروج على شريعة محمد – صلى الله عليه وسلَّم–، وأن من اعتقد ذلك ؛ فهو كافر كفرا أكبر مخرجا من الملة . نسأل الله العافية والسلامة .

(1) وفي الحديث " رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في ســبيل الله " . فعلى جميع المكلفين أن يوحدوا الله ، ويعبدوه دون كل ما ســواه ، وأن يكفــروا بالطــاغوت وينكروا عبادته ، ويلتزموا بالتوحيد ، واتباع شريعته ــ سبحانه وتعالى ــ ، وتعظيم أمره وَنهيه . و " رأس الأمر " : يعني رأس الدين هو الإسلام ، يعني شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله . فمن التزم بها دخل الإسلام . وعموده الصلاة : وهي الركن الثاني ، وهي أعظم الأركــان بعد الشهادتين ، ثم يلي ذلك الزكاة، والصيام ، والحج ، وبقية أوامر الله . " وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله " ؛ لأن به صيانة الدين وحمايته ، وبه دعوة الناس إلى دين الله وإلزامهم بالحق . فهو ذروة سنامه ــ من جهة ما تضمنه من حماية الدين والدعوة إلى الحق . والله أعلم .

(2) أعده بعض طلبة العلم، وحول إلى صورة (Word) بواسطة موقع أبي عبدالله الآجري لطلب العلم والمتون العلمية، تم الانتهاء منه صبيحة يوم الجمعة ١٥ جمادي الثانية ١٤٢٦هـ.